الأدوار التربوية والاجتماعية للمؤسسات الدينية بمدينة المسيلة (الحضنة) خلال المرحلة الإستعمارية 1841-1945.

"الزاوية البوجملينية أنموذجاً"

The educational and social roles of religious institutions in the region of M'sila (El Hodna) during the colonial period 1841-1945.

The Zawiya of Boudjemline as an example

صص 61-79

الدكتور الي، محمدي محمد قسم التاريخ،
جامعة محمد بوضياف المسيلة.
mohamed.mhamdi@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2020/04/13 تاريخ القبول: 2020/06/12 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص:

تحاول هذه الدراسة التاريخية المتواضعة؛ تسليط الضوء البحثي والتاريخي نحو الأدوار التعليمية والاجتماعية التي عُنِيَت بها بعض المؤسسات الدينية في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية 1830-1962، لاسيما في ظل السياسة الفرنسية المطبقة ضد هذه المؤسسات، سعياً منها للقضاء على الشخصية الجزائرية ومحاولة طمس معالم الهوية العربية الاسلامية بهذه البلاد الضاربة بجذورها في أعماق الحضارة الاسلامية. وللوقوف عند أهم الأدوار التي نهضت بها المؤسسات الدينية لمواجهة السياسة الاستعمارية الرامية لطمس هوية المجتمع وشخصيته، وعليه فقد كانت الدراسة محوراً للتعريف بجهود المؤسسات الدينية بمنطقة المسيلة في مجال التعليم والمجتمع على الخصوص، وهو ما تجسد في أنموذج الزاوية البوجملينية بمدينة المسيلة (الحضنة)

محاولةً التعريف بأهم أدوارها التعليمية والاجتماعية بهذه المنطقة خلال الفترة الاستعمارية 1841-1945.

الكلمات المفتاحية: المؤسسات الدينية؛ زاوية بوجملين؛ الحضنة؛ المسيلة؛ الاستعمار الفرنسي؛ الجزائر.

The following historical study attempts to elucidate the important educational and social roles that all religious institutions in Algeria generally and particularly in the region of M'sila (El Hodna) played during the colonial period, especially in light of the French policy controlling these religious institutions in all their forms and varieties in order to eradicate the national identity and to eliminate the effects of the Arab-Islamic identity from this country.

In order to apprehend and to analyze the reality of the roles and tasks assigned to such religious institutions and the colonial policy applied against them, we will clarify on one of these religious institutions in the region of M'sila, which is related to the Zawiya of Boudjemline in the region of M'sila (El Hodna) trying to identify its educational and social roles during the colonial period 1841-1945.

Keywords: Religious institution; Zawiya of Boudjemline; El Hodna; M'sila; French colonialism; Algeria;

مقدمة:

عَمَدَ الاستعمار الفرنسي منذ احتلال الجزائر عشية الـ 05 جويلية 1830، إلى تطبيق جملة من الأساليب العسكرية اللاإنسانية ضد السكان الجزائريين، استهدافاً لإبادة السكان الأصليين والقضاء على كل أشكال المقاومة التي تصدر عنهم، وبالمقابل من ذلك أيضا فقد وظف الفرنسيون أساليب أخرى أشد خطورة وفتكاً من الوسائل العسكرية، إذ نجد أن الاحتلال كان قائماً على أساليب مختلفة منها: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية....الخ؛ إن الأساليب والمناهج الاستعمارية المطبقة ضد المدنيين الأبرياء في الجزائر، كانت كلها تهدف إلى القضاء على الشخصية العربية الإسلامية، كما أنها تسعى إلى محاربة كل ما من شأنه أن يحفظ لهذه الشخصية

الجزائرية أصالتها وهويتها الحضارية، وللوصول إلى ذلك فقد كانت المؤسسات الدينية بأشكالها وأنواعها المختلفة (المساجد، المدارس، الزوايا، الكتاتيب...الخ) هدفاً صريحاً للسياسات الاستعمارية السابقة الذكر في شتى أنحاء البلاد وربوعها.

وانطلاقاً من واقع المصادرة الحضارية الذي انتهجته الإدارة الاستعمارية إزاء السكان الجزائريين ورموزهم الدينية والهوياتية، فقد كان لمنطقة المسيلة (الحضنة) كغيرها من باقي مناطق البلاد حظاً واسعاً من الأساليب الاستعمارية الثقافية الهادفة لطمس الشخصية الجزائرية بهذه المناطق الحساسة، فمنذ وصول الفرنسيين إلى منطقة الحضنة واستقرارهم فيها مع مطلع الأربعينيات من القرن 19م، حتى بادر الفرنسيون إلى محاربة المؤسسات الدينية والتضييق عنها في ممارسة مهامها العلمية والدينية والاجتماعية.

ومن أجل تجلية أدوار هذه المؤسسات الدينية في الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية لساكنة هذه المنطقة بصفة خاصة والجزائريين عامة، من الخطر الذي شكلته الممارسات الفرنسية للقضاء على معالم الشخصية الجزائرية، فقد حاولنا من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على السياسة الفرنسية تجاه زاوية سيدي بوجملين بمدينة المسيلة، ورصد أهم أدوارها الثقافية والاجتماعية التي نهضت بها خلال الفترة الاستعمارية بمنطقة الحضنة عامة ومدينة المسيلة بصفة خاصة؟ وللإجابة على هذه الإشكالية فقد طرحنا التساؤلات الآتي ذكرها:.

1-ما هو أصل تسمية زاوية سيدي بوجملين بمدينة المسيلة؟ وما هي جذور تأسيسها؟

2-ما هي ظروف وملابسات دخول الاستعمار الفرنسي إلى منطقة الحضنة 1841؟ وما هي السياسة المنتهجة من قبل هذا الأخير تجاه المؤسسات الدينية (الزوايا) بالمنطقة؟

3-وما هي أهم الأدوار الثقافية والاجتماعية التي نهض بها طلبة وتلاميذ زاوية سيدي بوجملين بمدينة المسيلة خلال المرحلة الاستعمارية؟.

1-نبذة حول تسمية وتأسيس الزاوية البوجملينية:

1-1-أصل التسمية:

تكاد تتفق الروايات التاريخية المهتمة بجذور المؤسسات الدينية بمنطقة الحضنة، أن جذور التسمية التي أخذتها زاوية سيدي بوجملين الواقعة في وسط مدينة المسيلة[1]، إنما هي في الأصل تعود إلى شخص مؤسسها سيدي محمد بن مولاي عبد الله[2]بن هيلول[3] الفاسي الإدريسي (المغربي)[4]، هذا وأجمع كثير من الدارسين أنه قد وفد إليها قادماً من مدينة فأس بالمغرب الأقصى، بعد أن كان مروره واستقراره بعضاً من زمن رحيله في كل من مدينتي تلمسان وبجاية وهو في طريقه إلى مدينة المسيلة، وبعد وصوله إليها قرر بمشاركة زوجته لالة عائشة البجاوية الاستقرار لما تختص به هذه المدينة عن غيرها من المدن الأخرى[5]، لاسيما بعد أن فضلهم سكان المدينة بمكان للإقامة في وسط

1- تنسب تسميتها إلى "المسيل" أو "المياه السائلة"، نظراً لتوفر المنطقة على عديد المجاري المائية منذ فترات وحقب زمنية قديمة، منها نجد: وادي القصب، وادي لقمان، وادي اللحم، وادي سلمان...، أما ما يخص تأسيسها فيرجعه الدارسون إلى سنة 315هـ- 927م، وفي هذا السياق يذكر الباحث في تاريخ المنطقة "بيرم كمال" أن الأمير الفاطمي "أبو القاسم" هو أول من اختط عمران المدينة، في حين أشارت دراسات موازية أن مدينة المسيلة كان لها حضور قبل هذا التاريخ المذكور وفي ذلك إشارة إلى الوجود الروماني بالمنطقة، هذا الذي أكدت الأبحاث حضوره من خلال المخلفات المادية والأثرية في العديد من الأماكن، فالمدينة حسب الكثيرين قد أسست على أنقاض "خربة تليس" بالقرب من الموقع الأثري المسمى "بشيلقة الرومانية"؛ وفي ذات السياق المتعلق بتسمية مدينة المسيلة فهناك من يشير لكونه ذو علاقة مع قبائل الماسيل Massyles التي استقرت بمنطقة شمال افريقيا خلال الفترة الرومانية. كمال بيرم: **بلدية المسيلة المختلطة: دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1884-1945**، رسالة ماجستير، إ: حداد مصطفى، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005-2006، ص 09. للاستزادة ينظر أيضاً؛ العربي عقون: مسيلة والماسيل (مقاربة موجزة في أصول مدينة المسيلة)، **مجلة كان التاريخية**، السنة 11، ع42، الكويت، ديسمبر 2018، ص26.

2- محمد بن عبد الله: **القطب الرباني (سيدي بوجملين سيرته وسيرة فرع من أبنائه)**، تر: علي بن محمد، جمعية زاوية سيدي بوجملين، الجزائر، 2007 ، ص 15.

3- في هذا الاتجاه يرى بعض الدارسين أن شخصية بن هيلول، هي شخصية دينية قدمت الى منطقة المسيلة من المغرب الاقصى في القرن السابع الميلادي، وهذا حسب ما ذكر عن الرحالة الفرنسي قالون Galon، وهذا ما يتقاطع مع ما يذهب إليه عديد الباحثين بكون شخصية أبي جملين (بن هيلول) قد زار المنطقة واستقر فيها في حدود القرنين 15 و16م كأقصى تقدير؛ ينظر. نور الدين بن حميدوش: **حول زاوية الشيخ أبي جملين وتاريخ المشرفين عليها منذ نشأتها (آل حميدوش)**، د. د. ن، الجزائر، 2011، ص 08.

4- نور الدين بن حميدوش: **المرجع نفسه**، ص 08-09.

5- عبد الله بن محمد: **المرجع السابق**، ص 43.

المدينة ومن الضفة الشمالية الشرقية لوادي القصب الذي يشق المدينة إلى شطرين متناصفين.[1]

وفي المقابل من الاتفاق الحاصل حول أصول شخصية أبي جملين الفاسي المغربي، فإننا نجد أن اختلافاً واضحاً قد ظل قائماً بين المؤرخين حول تاريخ وصول المتصوف أبي جملين الفاسي إلى منطقة الحضنة ومدينة المسيلة على الخصوص، فمن هؤلاء من يرى أن هذا الأخير قد وصل إلى المنطقة مع القرن الثالث عشر للميلاد (13م)[2]، وهو ما قدره آخرون بالسنوات الممتدة من (1150م إلى 1250م) وفقاً لما تناقله بعض الدارسين عن المؤرخ الفرنسي "بول ماسييرا Pol Massira[3]"، وفي ذات السياق أفاد نفر آخر من الدارسين أن وصول أبي جملين إلى المدينة قادماً إليها من بجاية كان في القرن الخامس عشر (15م) وتحديدا في 1466م، أين انتقل محمد بن مولاي عبد الله المكنى بالفاسي المغربي بعد الزواج من السيدة عائشة البجاوية من بجاية إلى المسيلة، وفيها أسس زاويةً لتحفيظ القرآن ومدرسةً لتربية الأجيال وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وهي الزاوية التي أخذت أول مؤسس لها هو "أبي بوجملين" حيث أطلق عليها اسم "زاوية سيدي بوجملين".[4]

1-2--تأسيس زاوية بوجملين: إن تأسيس زاوية سيدي بوجملين في مدينة المسيلة، موضوع لازال يكتنفه الغموض أمام قلة الأبحاث والدراسات المنجزة حول هذا الصرح الديني الصوفي بمنطقة الحضنة[5]، وفي هذا الصدد تفيد الروايات أن محمد بن مولاي

1- قارة مبروك بن صالح: **الموروث الثقافي والحضاري لمنطقة المسيلة**، المؤسسة الصحفية للنشر والتوزيع والاتصال، الجزائر، 2011، ص 24.

2- كمال بيرم: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي 1840-1954**، أطروحة دكتوراه، إ: صالح لميش، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010-2011، ص 379.

3- نور الدين بن حميدوش: **المرجع السابق**، ص17.

4- قارة مبروك بن صالح: **ولاية المسيلة (حضارة وأصالة وثقافة)**، ط1، المؤسسة الصحفية بالمسيلة، الجزائر، 2015، ص 56.

5- أبوبكر الصديق حميدي: عيسى حميدي المعتوقي (1914-1962) ودوره في الحركة الوطنية والثورة، **المجلة التاريخية الجزائرية**، ع 02، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ماي 2017، ص 74.

عبد الله المدعو أبي جملين عَمَدَ بمجرد وصوله إلى مدينة المسيلة، إلى المبادرة رفقة أعوانه وجمع من سكان هذه المدينة إلى إنشاء "جامع صغير" في مكان مرتفع وكأنه هضبة تشق المدينة إلى نصفين وكان المكان يسمى بـ "رأس الحارة"[1]، وقد اختير المكان بالموقع المذكور حتى يكون موقعاً وسطاً بين سكان المدينة وأحيائها الشهيرة، مثل أحياء: العرقوب، خربة تليس، الجعافرة، الكوش...الخ[2]، وذلك ليكون مقر الزاوية صرحاً لإقامة الشعائر الدينية والتعبدية وتعليم أبناء المدينة أمور الدين وعلوم القرآن المختلفة.[3]

وتشير الأبحاث إلى أن العطاء العلمي والديني لهذه المؤسسة الدينية ظل يشع لسنوات طويلة بداخل المدينة كما في خارجها؛ وذلك بعد أن حمل مريدو هذه الزاوية من الطلبة والتلاميذ مشعل معلمهم "أبي جملين" فكانوا المصابيح التي تنير للناس عقولهم وأرواحهم، إذ أشارت الروايات المختلفة أن هؤلاء التلاميذ كانوا من بعد وفاة معلمهم المشايخ والمعلمين الحقيقين للقرآن بالمنطقة، فانتشر كثير منهم في المدينة وخارجها لنشر وتعليم الناس القرآن وعلومه في المناطق المجاورة للمدينة، وفي هذا الاتجاه فقد ورد القول:" ... **وقد تتلمذ على يد سيدي بوجملين أكثر من أربعين طالـباً، تخرجوا منها بتفوق ثم انتشروا في ربوع الحضنة لتعليم الـناس وتفقههم..."**[4]، كما ذكر أيضا في ذات السياق ما نصه:**"... لقد خلف أبو جملين عددا من التلاميذ من أبناء المنطقة، الذين أصبح معظمهم بعد وفاته، مشايخ يعلمون الناس أمور الدين في شتى المناطق سواء في داخل المسيلة أو خارجها..."**.[5] وهو واقع الحال الذي تميزت به البلاد خلال الفترة العثمانية عموماً من انتشار للزوايا والطرق الصوفية التي انتشرت في المدن والأرياف الجزائرية انتشاراً كبيراً.[6]

1- عبد الله بن محمد: وثيقة تعريف بسيدي بوجملين (نشرة الزاوية البوجملينية – الجملينية)، **أعمال الملتقى الأول لزاوية سيدي بوجملين –المسيلة**، السنة الأولى، الجزائر، 2010، ص 68.

2 -*Charles FERAUD ;* ***Histoires Des Villes De La Province De Constantine*** *; Charlement Aine Editeur, France, 1872, p329.*

3- نور الدين بن حميدوش: **المرجع السابق**، ص 25.

4- قارة مبروك بن صالح: ولاية المسيلة...، **المرجع السابق**، ص 56.

5- نور الدين بن حميدوش: **المرجع السابق**، ص 25.

6- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ج1، 1998، ص 262.

وقد ظلت الزاوية تُخَرِجُ منَ الطلبة والشيوخ الدفعة تلو الأخرى، إلى غاية المرحلة الاستعمارية أين طفت إلى السطح مشاكل تنظيمية في إدارة الزاوية وتسيير شؤونها، فمنذ وفاة الشيخ أبي جملين أوكلت مهمة إدارة هذه الزاوية إلى رفيق دربه "حميدوش"، الذين توارث أحفاده من عائلته القيام على شؤون الزاوية والإشراف عليها إلى غاية الربع الأول من القرن العشرين، وتحديداً في1925 أين باشرت السلطات الفرنسية إجراءاتها بغلق الزاوية بعد خلاف حول إدارتها بين أبناء بوجملين وآل حميدوش[1]، وترجح بعض الجهات أن الخلاف كان مفتعلاً من أيادي خارجية تسعى للإيقاع بين العائلتين ومنح الفرصة السامحة للسلطة الفرنسية لغلق الزاوية لما قد تشكله من خطر على الوجود الاستعماري والأوربي على حد سواء.[2]

2-الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة وسياسته تجاه المؤسسات الدينية (الزوايا):

2-1-الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة 1841:

لقد أفادتنا الدراسات التاريخية المتعلقة بمنطقة الحضنة خلال المراحل الأولى من الفترة الاستعمارية، أن التوغل العسكري للفرنسيين في اتجاه المناطق الداخلية والجنوبية من البلاد كان لأجل مصالح استراتيجية فرنسية بحتة[3]، ولعل من المناطق التي صنفت كمداخل للصحراء الجزائرية نجد منطقة الحضنة عامة ومدينة المسيلة خاصة، أن هذه الأخيرة تعد معبراً استراتيجياً ومحطة استرجاع للأنفاس لعديد المقاومات الشعبية المسلحة الجزائرية خلال الأيام الأولى من الاحتلال، أي قبل الوصول الفعلي للجيش الفرنسي إليها مع مطلع أربعينيات القرن التاسع عشر (19)م، إذ نجد أن هذه المنطقة ومنذ اللحظات الأولى للاحتلال الفرنسي لعاصمة البلاد والسيطرة على معالمها

1- محمد السعيد قاصري: ملامح من الحياة الثقافية بمنطقة المسيلة خلال الحقبة الاستعمارية 1841-1941، **مجلة عصور الجديدة**، ع 16-17، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، أفريل 2014-2015، ص 305.

2- أشارت الدراسات التاريخية أن تاجراً معروفاً من اليهود القاطنين بمدينة المسيلة، كان يسعى دائماً للإيقاع بين العائلتين المتنازعتين على شؤون إدارة الزاوية والقيام بأمورهما، وكان في كل مرة يعمل على إثارة الفتنة والبغضاء بين العائلتين حول أمور مختلفة ومتعددة؛ منها: إدارة شؤون "زاوية سيدي بوجملين" خلال المرحلة الاستعمارية الفرنسية؛ السبب الذي كان وراء إقدام السلطة الفرنسية إلى اغلاقها؛ ينظر. نور الدين بن حميدوش: **المرجع السابق**، ص 37.

3- احميدة عميراوي وآخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 - 1916**، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 31.

السيادية في الـ05 جويلية 1830[1] وإلى غاية 11 جوان 1841، تاريخ السيطرة الفعلية للجنرال "دي نيقري Dy Negrier" على مدينة المسيلة وضواحيها والإلحاق الرسمي لها إلى النطاق الجغرافي لناحية برج بوعريريج[2]، عرفت المنطقة عديد أشكال المقاومة والانتفاضات المتكررة ضد الحاميات العسكرية الفرنسية المستوطنة بالمنطقة وبالنواحي المجاورة لها كذلك.

وفي ذات السياق المتعلق بأبعاد الزحف الاستعماري نحو الصحراء الجزائرية، تفيد الدراسات أن الهدف الأساسي من سيطرة الفرنسيين على إقليم الحضنة عامة والمسيلة بصفة خاصة، إنما يندرج في إطار جعل المنطقة أي "الحضنة" تحت سلطة أحمد المقراني الحاكم المحلي لمنطقة مجانة ببرج بوعريريج والمتعاون مع السلطة الفرنسية على المناطق المحاذية للإقليم المذكور[3]، كما أن للأهداف التوسعية العسكرية منها والعلمية[4] في اتجاه المناطق الجنوبية من الصحراء الجزائرية دافعاً مغرياً أيضاً لخوض هذا المعترك[5]، والبحث عن سبل وأنماط جديدة للتمكين للسيطرة الفرنسية على الجبهة الجنوبية للجزائر، والتي أريد لها أن تأخذ الطابع العلمي النووي[6] للزحف نحو مناطق أخرى من ذات الصحراء الإفريقية الواسعة.[7]

ولأجل التمكين للمشروع الاستعماري الهادف إلى سياسة ضم المناطق الجنوبية والصحراوية إلى حظيرة المقاطعات الفرنسية المستحدثة شمال الجزائر، فقد كان

1- صالح بن النبيلي فركوس: **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي (المقاومة المسلحة 1830-1962)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص- ص 07-11.

2- كمال بيرم: **من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني – الحضنة أنموذجاً- دراسة تاريخية**، دار الأوطان، الجزائر، 2015، ص 119.

3- صالح بن النبيلي فركوس: **المرجع السابق**، ص-ص 238-239.

4- محمد برمكي: **الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1954-1962**، رسالة ماجستير، إ: بن نعيمة عبد المجيد، قسم التاريخ، جامعة السانية وهران، الجزائر، 2009-2010، ص 67.

5- احميدة عميراوي وآخرون: **المرجع السابق**، ص 27.

6- عمار منصوري: التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية: إرث استعماري ثقيل، **مجلة مصادر تاريخ الجزائر المعاصر**، م 17، ع01، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، الجزائر، 2019، ص-ص 10-11.

7- كمال بيرم: من تاريخ حواضر...، **المرجع السابق**، ص 107.

التصدي للمقاومات الشعبية المسلحة وسيلة أخرى لفرض المنطق الاستعماري، لاسيما بعد الانتشار المقلق لأشكال الرفض الجزائري للأساليب الفرنسية المطبقة ضد الجزائريين، فأخذت المقاومة المسلحة للناقمين على السلطة الفرنسية تعلن عن نفسها الواحدة تلو الأخرى كلما وصل امتد النفوذ الفرنسي نحو مناطق جديدة لم تكن خضعت قبلاً للنظام الاستعماري، إذ نجد أن هذه المقاومة قد تباينت في شدتها ومدتها تصدياً لآلة الدمار الفرنسية، وقد كانت منطقة الحضنة كغيرها من باقي مناطق البلاد الجنوبية منها كما الشمالية؛ مسرحاً للكثير من هذه المقاومات مثل: مقاومة المقراني[1] ومقاومة "الأمير عبد القادر"[2]وخليفتيه على هذه المنطقة، الأول "الحاج مصطفى" الذي تصدى للجيوش الفرنسية في وسط مدينة المسيلة وغربها، في حين قاد "لحسن بن عزوز" لواء المقاومة بالنيابة عن الأمير عبد القادر في جبال المعاضيد وجبال عياض من الجهة الشمالية للمنطقة.[3]

وبالموازاة مع أساليب الإخضاع العسكرية التي انتهجتها السلطات الفرنسية بعد التمكين لها بمنطقة الحضنة، فقد لجأت الحكومة الفرنسية في البدايات الأولى من عملية الاحتلال إلى أنماط متباينة من الاخضاع، ومن ذلك إجبار الساكنة على الانقياد والانصياع لأوامر السلطة الفرنسية، والتقيد بأوامر القادة العسكريين وأعوانهم من الجزائريين العاملين في المكاتب العربية[4]، الذين ذللوا للعسكريين الفرنسيين العديد من المصاعب التي واجهتهم في فك طلاسم الشخصية الجزائرية وأسرارها التحررية، كما كان اهتمام الفرنسيين بالغاً بالجانب الديني والعقائدي الذي اعتبره المنظرون الفرنسيون أحد العوامل الرئيسية لتجديد العزم في محاربة الوجود الفرنسي وتقليص تسلله إلى وجدان الشخصية الجزائرية وهويتها، فما كان من الفرنسيين إلا محاربة هذه المؤسسات

1- يحي بوعزيز: **ثورات القرن التاسع عشر**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 248.

2- ناصر الدين سعيدوني: **عصر الأمير عبد القادر**، دار بني مزغنة، الجزائر، 2016، ص 124.

3- كمال بيرم: من تاريخ حواضر...، **المرجع السابق**، ص 109.

4- فاطمة حباش: **المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري في الغرب الجزائري 1844-1870 (تيارت، سعيدة، جيرفيل، البيض نماذجا)**، أطروحة دكتوراه، إ: بن نعمية المجيد، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014، ص 83.

الدينية ومحاولة القضاء عليها تارةً أو تدجينها وتحويلها عن رسالتها الثقافية والعقائدية تارة أخرى.[1]

2-2-السياسة الاستعمارية ضد المؤسسات الدينية بمنطقة الحضنة (الزوايا):

انطلاقاً من الأدوار النهضوية الهامة التي حملتها المؤسسات الدينية في محاربة الجهل والأمية خلال الفترة العثمانية بالجزائر[2]، وبخاصة بعد نجاحها في المحافظة على مقومات الهوية العربية الاسلامية للشخصية الجزائرية في ظل السيطرة الاستعمارية، بعد أن دأب الفرنسيون بذل الجهد والوسع للقضاء عليها منذ أولى لحظات السيطرة العسكرية على مدينة المسيلة وضواحيها من باقي مناطق الحضنة جوان 1841، أين اجتهد الفرنسيون على محاربة هذه المؤسسات الدينية (الزوايا)، ومحاولة ثنيها عن أداء مهامها وواجباتها في المجالات الدينية والثقافية والتربوية في مجتمع[3] منطقة الحضنة عامة ومدينة المسيلة بصفة خاصة.[4]

ومن هذا المنطلق؛ فقد كانت الزوايا في منطقة الحضنة عرضة لنفس السياسة الاستعمارية الفرنسية في أنحاء البلاد، بعد أن جعل هذا الأخير من هذه المؤسسات الدينية هدفاً لتجاوزاته العسكرية واللاإنسانية، فكانت هذه الأماكن عرضةً إما للغلق والتحويل للمؤسسات وإما بالقتل والتضييق أو التدجين للعلماء والشيوخ[5]، وذلكم نفس المصير الذي جابهته "زاوية سيدي بوجملين" في مدينة المسيلة، وخاصة بعدما أدركت السلطات الفرنسية أن الزاوية تثير الشكوك حول تورطها في عديد الأدوار الوطنية والتحررية، التي من شأنها تهديد الوجود الفرنسي بالمنطقة ولو بعد مدة زمنية، ولذلك كان التضييق والحصار على المؤسسات الدينية بهذه المنطقة حلاً كفيلاً بدرأ

1- محمد السعيد قاصري: **المرجع السابق**، ص 304.

2- ياسين بودربعة: الزوايا والسلطة خلال العهد العثماني – مدينة الجزائر أنموذجاً-، **مجلة معارف**، ع23، السنة 12، جامعة البويرة، الجزائر، ديسمبر 2017، ص 81.

3- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص-ص 354-355.

4- محمد السعيد قاصري: **المرجع السابق**، ص 304.

5- احميده عميراوي: **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص-ص 17-18.

مشاكلها، ولم تتوقف السلطات الفرنسية عند هذا الحد حتى أصدرت قراراً بغلق هذه الزاوية سبتمبر 1925، الشيء الذي نجم عنه استياء لدى سكان المدينة، رفضاً منهم للسياسة المنتهجة في معالجة المسائل الحساسة المتعلقة بالخصوصية الجزائرية والأمور الدينية لساكنة هذه المنطقة.[1]

3-الأدوار التربوية والاجتماعية لزاوية سيدي بوجملين بالمسيلة:

3-1-الأدوار التربوية:

منذ أن بسط الاحتلال الفرنسي نفوذه على الدولة الجزائرية بعد أن تمكن من نفي الرمزية السيادية عنها بعد العدوان العسكري في الـ05 جويلية 1830، ومنطق القوة العسكرية في البلاد يقوم على تغييب الأنا الجزائرية ومحاولة استئصالها عن المشهد الهوياتي لساكنة البلاد، ولتحقيق ذلك فقد كانت الحرب الفرنسية شاملةً، لكل ما من شأنه أن يشحذ همم الجزائريين ويقوي من عزيمتهم ويجدد إرادتهم، فكانت محاربة المؤسسات الدينية والتضييق على رجالاتها هدفاً استعمارياً موازياً لإخضاع السكان بقوة الحديد والنار من الآلة العسكرية الفرنسية.[2]

ورغم التضييق الذي مارسته الإدارة الاستعمارية على مهام المؤسسات الدينية في الجزائر بعد احتلالها؛ بالحد من دورها في أداء رسالتها الدينية والثقافية على وجهها الصحيح، ولا أدل على هذه السياسة مما جابهته زاوية "سيدي بوجملين" بمدينة المسيلة من حصار وتضييق بعد وصول الفرنسيين إليها في 11 جوان 1841[3]، ومع ذلك فقد قرر شيوخ الزاوية ومدرسوها الاستمرار في ممارسة مهامهم بالزاوية من تحفيظ للقرآن وتدريس للعلوم الشرعية، كل هذه الجهود كانت في أغلب الأوقات تؤدى في ظروف صعبة من قلة في الوسائل والإمكانات وانعدامها في أحيان كثيرة، وحول ظروف التعليم السائدة بزاوية سيدي بوجملين؛ يذكر الباحث "كمال بيرم" في قوله: "لقد كان الطلبة في هذه

1- محمد السعيد قاصري: **المرجع السابق**، ص 307.

2- عثمان زقب: **السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1914 (دراسة في أساليب السياسة الادارية)**، أطروحة دكتوراه، إ: صالح لميش، قسم التاريخ والأثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2014-2015، ص 15 وما بعدها.

3- كمال بيرم: **تطور مدينة المسيلة عبر العصور**، ط1، دار الكوثر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 250.

الزاوية يدرسون في وضعيات تقليدية متأخرة وظروف اجتماعية بسيطة، كما كان لهذه الزاوية شيخ وبعض الخدام (القداش) وهم من الأجانب (المغاربة) الذين يتعلمون بها ويخدمون الشيخ والزاوية..."[1].

وفي ظل الأوضاع الصعبة، التي باتت تتخبط فيها المؤسسات الدينية بمنطقة الحضنة من جراء التضييق والسياسة الاستعمارية، مما جعل من أحوال الزوايا بالمنطقة ومنتسبيها من الشيوخ والطلبة يكابدون ظروفاً قاسية لآداء مهامهم التربوية، غير أن هذه الفئة من الشيوخ والطلبة لم تستسلم للعراقيل التي واجهتهم، حيث قرروا مواصلة المسار العلمي والديني في ظل عراقيل مختلفة، تباينت بين عراقيل داخلية (انعدام الظروف والوسائل) وأخرى خارجية (التضييق الاستعماري)، وهو ما ورد توصيفه من الباحث "محمد السعيد قاصري" في القول: "**منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر، لم تتوقف الزاوية عن القيام بواجبها التربوي والتعليمي لأبناء المنطقة، الذين كانوا يعانون من الفرقة والتشتت والخلافات التي كانت تعصف بهم، وهذا هو الدافع الذي وصف من خلاله القطب لابنه سيدي بوجملين وهو بالمغرب المسيلة بأنها بقعة من جهنم تحتاج إلى من يحررها من النار والعار...**"[2].

ومما يدل على فاعلية الدور التعليمي البارز للزاوية المذكورة بمدينة المسيلة خلال المرحلة الاستعمارية، هي تلك الصور والتجليات للجهود الاصلاحية التي كرسها تلاميذ وأبناء الزاوية البوجملينية في أواسط مجتمع مدينة المسيلة وحتى في المدن المحاذية لها، وهو ما ورد الدليل في شأنه بالقول:" **لقد انتخب من أهل المدينة ومن العشائر المحيطة بها (أربعين 40 تلميذاً) رباهم وعلمهم وأعدهم للإصلاح ... (يقصد شيخ الزاوية)، إصلاح النفوس وتقويم السلوكات، فانتشروا في أرجاء الحضنة تحت إشرافه يبثون تلك المبادئ ...**"[3].

1- كمال بيرم: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية...، **المرجع السابق**، ص 379.

2- محمد السعيد قاصري: **المرجع السابق**، ص 304.

3- عبد الله بن محمد: **المرجع السابق**، ص 68.

ومما سلف الذكر، نستطيع القول أن زاوية سيدي بوجملين وبالرغم من الظروف الصعبة التي واجهتها، من قلة في الموارد المادية وانعدامها في أحيان كثيرة، والتضييق الممارس من السلطات الاستعمارية بعد الوصول إلى المنطقة مع مطلع أربعينيات القرن التاسع عشر (19م)، إلا أنها قد قررت الاستمرار في أداء رسالتها التربوية والتعلمية في مجتمع مدينة المسيلة، الذي كان خلال هذه المرحلة يعيش أوضاعاً مأساوية، مما جعل من تلاميذ الزاوية يرجحون خيار الانتشار في المجتمع لإصلاح ذات البين بين سكانه ونشر قيم العدل والتسامح والإخاء بين أفراده.

3-2-الأدوار الاجتماعية:

وإضافة إلى الأدوار التربوية والتعليمية سالفة الذكر، فقد كان لزاوية سيدي بوجملين أدوار أخرى في الأوساط السكانية والاجتماعية في هذه المدينة، والتي نجد منها: إقامة جلسات للصلح، إصلاح ذات البين، التقاضي، مساعدة المحتاجين، إيواء الأجانب...الخ.[1]

وفي هذا السياق، المتعلق بالجهود الاجتماعية والاصلاحية التي نهضت بها زاوية سيدي بوجملين وجميع منتسبيها في مجتمع الحضنة عامة والمسيلة بصفة خاصة، فتجمع الدراسات أنها كانت أدواراً هامة وبارزة، وبخاصة في ظل الأوضاع الاجتماعية الهشة والمتدهورة التي سادت أوساط المجتمع بهذه المواطن، حتى أن المنطقة قد وردت في وصف شيخ الزاوية بكونها قطعة من جهنم تحتاج إلى من يحررها من النار والعار[2] أو كما جاء الذكر في شأنها، ورغم ذلك فإنها كانت ذات مكانة هامة في المجتمع نظراً إلى الأدوار الاجتماعية والانسانية التي كانت تكفلها لأبناء المنطقة وحتى للأشخاص الأجانب والغرباء عن المنطقة، الأمر الذي ساهم في تصنيفها لدى السلطات الاستعمارية كبؤرة خطر ومصدر للثورات ضد النظام الاستعماري القائم في البلاد.[3]

1 - قارة مبروك بن صالح: ولاية المسيلة...، **المرجع السابق**، ص57.

2 - محمد السعيد قاصري: **المرجع السابق**، ص 304.

3 - كمال بيرم: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية...، **المرجع السابق**، ص 380.

ومن أشكال الجهود الاجتماعية التي بذلتها هذه الزاوية في مجتمع مدينة المسيلة، فقد أفادت الروايات أنها مختلفة باختلاف حاجات الناس الاجتماعية والانسانية، غير أن من الدارسين من حاول تجلية الدور الاجتماعي الذي نهضت به زاوية سيدي بوجملين؛ في قوله: " **فكما هو معلوم تاريخياً فإن المسيلة كانت مركز عبور للقوافل المختلفة، ومقر زاويتها برأس الحارة (مركز المدينة) فإنها كانت طيلة قرون من الزمن مركزاً لإيواء وإطعام عابري السبيل والغرباء، وهذا ما يؤكد أن زاوية بوجملين، قد كانت فعلاً مؤسسة اجتماعية ودينية وعلمية...**".[1]

وفي سياق متصل، أضافت بعض الروايات المتواترة حقائق هامة عن الدور الاجتماعي للزاوية المذكورة خلال المرحلة الاستعمارية، مما أدى إلى تصنيفها كمصدر خطر دائم تجاه التواجد الفرنسي وأعوانه بالمنطقة، وفي ذلك ورد القول: " **لقد كانت الزاوية آنذاك (أي خلال المرحلة الاستعمارية) ترعى الإصلاح، وتحل النزاعات بين القبائل المحيطة بالمدينة، كما تحل الصراعات بين أهالي المدينة وسكانها...**"[2]، في حين ثَبَتَ في تقرير للدرك الفرنسي أن الزاوية لا تشكل خطراً على السلطة الاستعمارية، بالنظر لكونها لا تحوز الامكانات التي تؤهلها للعب هذا الدور، وذلك من توفر للموارد والعائدات المالية المختلفة التي تقوي هياكلها وتزيد من أفرادها، وفي هذا الصدد قد ورد القول: " **أن المعلم لا يتلقى راتبا معينا شهريا أو سنويا، وإنما يدفع له كل طالب على حدى مبلغاً مناسباً لوضعه المالي مقابل حقوقه في التدريس ...ولا يظهر أن الزاوية مزدهرة من حيث الثراء المالي، وإنما شهرتها ترجع أصلاً إلى سمعة مؤسسها الأول وهو ولي صالح، وأما الذين تعاقبوا بعده فإنهم لم يكن في وسعهم القدرة على القيام ببعض مهامها...**".[3]

وتجدر الإشارة كذلك؛ أن الزاوية البوجملينية والقائمين عليها قد بذلوا جهودا كبيرة، من أجل أن تكون هذه الأخيرة منارةً ومعلماً للتزود بالعلم والإفادة الاجتماعية

1 - نور الدين بن حميدوش: **المرجع السابق**، ص 25.

2 - قارة مبروك بن صالح: ولاية المسيلة...، **المرجع السابق**، ص 57.

3 - محمد السعيد قاصري: **المرجع السابق**، ص 305.

لسكان المدينة وما جاورها من مناطق، إلا أن الظروف الصعبة التي كانت تتخبط فيها زاوية سيدي بوجملين من نقص في الموارد والعائدات وتضييق للإدارة الاستعمارية ضدها، وخاصة بعد وفاة أبرز الشيوخ المؤسسين لهذه الزاوية "الشيخ محمد بن عبد الله بوديلمي" من عائلة الشيخ بن عبد الله في عام 1943، وهي الظروف التي جعلت الزاوية تعيش نكبات متتالية، كانت سبباً في إقفال أبواب المدرسة القرآنية لهذه الزاوية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة[1]، وذلك بعد أن كانت قد فتحت أبوابها بعد الإغلاق الأول لها في المرة الأولى عام 1925.

وبناء على ذلك نستطيع القول؛ أن الأدوار الاجتماعية التي بذلتها زاوية سيدي بوجملين، مع محاولة المحافظة عليها كتقليد في مجتمع مدينة المسيلة، قد اصطدم بجملة من الصعوبات والعراقيل المادية كانعدام الموارد المالية للزاوية، والعجز في تغطية أبسط الضروريات التي تحتاجها هذه المؤسسة الدينية، إضافة إلى العراقيل الخارجية والممثلة في التضييق والحصار الذي مارسته الإدارة الاستعمارية على شيوخ وطلبة الزاوية، والترصد لأجل منعها وأفرادها من أداء المهام التربوية والتعليمية والاجتماعية المنوطة بهم في المجتمع، وهو ما كلل في العديد من المرات بمشاكل كبيرة لهذه الزاوية كانت في أغلبها مفتعلة من السلطات الفرنسية ومنها حادثة سبتمبر 1925، في صورة الصراع الذي فجره التاجر اليهودي بين عائلتي آل حميدوش القائمين على إدارة شؤون الزاوية وأحفاد "أبي جملين" شيخ الزاوية ومؤسسها الأول.[2]

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نستنتج مايلي:

-أهمية الأدوار التربوية والاجتماعية التي نهضت بها المؤسسات الدينية في الجزائر على تباينها بين: (المساجد، الزوايا، الكتاتيب، المدارس القرآنية...الخ)، في المحافظة على هوية الشخصية الجزائرية مع ثوابتها الأصلية: كالدين، اللغة،

1 - كمال بيرم: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية...، **المرجع السابق**، ص 380.

2 - محمد السعيد قاصري: **المرجع السابق**، ص 305.

التاريخ، العادات والتقاليد ...الخ، ومن ذلك أهمية الدور الذي بذلته زاوية سيدي بوجملين في مدينة المسيلة من مهام: التربية، التعليم، تدريس علوم القرآن...الخ.

-محاولة النهوض بالأوضاع الثقافية المتدهورة السائدة في منطقة الحضنة عامة ومدينة المسيلة بصفة خاصة، من خلال الجهود المبذولة من شيوخ الزاوية وطلبتها في تحصيل العلوم والمعارف الدينية والتعلمية لخدمة المجتمع وسكان المدينة، بالرغم من الصعوبات والعراقيل التي واجهت هذه الفئة في آداء مشوارها الرسالي المنوط بها في المجتمع، سيما في ظل شح الموارد وتضييق الإدارة الاستعمارية، ما جعل شيوخ الزاوية يلجؤون إلى طرق أخرى لتحصيل الموارد المالية (الزيارات...الخ)، لتتحول الزاوية مع مرور الوقت إلى مجرد مسجد بجوار ضريح الولي الصالح (المرابط) سيدي بوجملين.

-بروز أثر وتجليات الأدوار الاجتماعية التي نهضت بها زاوية سيدي بوجملين في مدينة المسيلة، سيما في ظل الآفات الاجتماعية والمشاكل البينية التي كانت تنخر الأواصر والروابط التي تجمع بين سكان المدينة، مما جعل طلبة وشيوخ الزاوية البوجملينية يبادرون إلى تعميم الفضيلة بهذه المنارة الدينية وحتى خارج هذه المؤسسة لتعم المجتمع وتغمره، فكان هؤلاء الشيوخ والطلبة وسائط حقيقية لعديد المهام والأدوار الاجتماعية النبيلة من: إقامة الصلح، فض النزاعات، إيواء الغرباء وعابري السبيل، مساعدة الفقراء والمحتاجين.

قائمة المصادر والمراجع:

أ-الكتب:

-اللغة العربية:

1. بوعزيز يحي: **ثورات القرن التاسع عشر**، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
2- بن حميدوش نور الدين: **حول زاوية الشيخ أبي جملين وتاريخ المشرفين عليها منذ نشأتها (آل حميدوش)**، د. د. ن، الجزائر، 2011.
3- بن صالح قارة مبروك: **الموروث الثقافي والحضاري لمنطقة المسيلة**، المؤسسة الصحفية للنشر والتوزيع والاتصال، الجزائر، 2011.
4- ـــــــــــ: **ولاية المسيلة (حضارة وأصالة وثقافة)**، ط1، المؤسسة الصحفية بالمسيلة، الجزائر، 2015.
5- بن النبيلي فركوس صالح: **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي (المقاومة المسلحة 1830-1962)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
6- بيرم كمال: **من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني – الحضنة أنموذجاً- دراسة تاريخية**، دار الأوطان، الجزائر، 2015.
7- ـــــــــــ: **تطور مدينة المسيلة عبر العصور**، ط1، دار الكوثر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
8- سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ج1، 1998.
9- سعيدوني ناصر الدين: **عصر الأمير عبد القادر**، دار بني مزغنة، الجزائر، 2016.
10- عميراوي احميدة: **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
11- ـــــــ: **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844- 1916**، دار الهدى، الجزائر، 2009.

-اللغة الأجنبية:

1. *Charles FERAUD ; **Histoires Des Villes De La Province De Constantine** ; Charlement Aine Editeur, France, 1872.*

ب-المقالات العلمية:

1- بودريعة ياسين: الزوايا والسلطة خلال العهد العثماني –مدينة الجزائر أنموذجاً-، **مجلة معارف**، ع23، السنة 12، جامعة البويرة، الجزائر، ديسمبر 2017.

2- حميدي أبوبكر الصديق: عيسى حميدي المعتوقي (1914-1962) ودوره في الحركة الوطنية والثورة، **المجلة التاريخية الجزائرية**، ع 02، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ماي 2017.

3-منصوري عمار: التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية: إرث استعماري ثقيل، **مجلة مصادر تاريخ الجزائر المعاصر**، م 17، ع01، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، الجزائر، 2019.

4-عقون العربي: مسيلة والماسيل (مقاربة موجزة في أصول مدينة المسيلة)، **مجلة كان التاريخية**، السنة 11، ع42، الكويت، ديسمبر 2018.

5-قاصري محمد السعيد: ملامح من الحياة الثقافية بمنطقة المسيلة خلال الحقبة الاستعمارية 1841-1941، **مجلة عصور الجديدة**، ع 16-17، جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، أفريل 2014-2015.

ج-الرسائل الجامعية:

-أطروحات الدكتوراه:

1. بيرم كمال: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي 1840-1954**، أطروحة دكتوراه، إشراف: صالح لميش، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010-2011.
2. زقب عثمان: **السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1914 (دراسة في أساليب السياسة الادارية)**، أطروحة دكتوراه، إ: صالح لميش، قسم التاريخ والأثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، 2014-2015.
3. حباش فاطمة: **المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري في الغرب الجزائري 1844-1870 (تيارت، سعيدة، جيرفيل، البيض نماذجا)**، أطروحة دكتوراه، إشراف: بن نعمية المجيد، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014.

-رسائل الماجستير:

4. بيرم كمال: **بلدية المسيلة المختلطة: دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1884-1945**، رسالة ماجستير، إشراف: حداد مصطفى، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005-2006.
5. برمكي محمد: **الجيش الفرنسي في الصحراء الجزائرية 1954-1962**، رسالة ماجستير، إشراف: بن نعيمة عبد المجيد، قسم التاريخ، جامعة السانية وهران، الجزائر، 2009-2010.

د-الملتقيات العلمية:

1. جمعية زاوية سيدي بوجملين: نشرة الزاوية البوجملينية – الجملينية-، **أعمال الملتقى الأول لزاوية سيدي بوجملين –المسيلة 21-22 ماي 2008**، السنة الأولى، المسيلة- الجزائر، 2010.